قد يكون من السهل الاجابة بأن مواقف الوفد كانت مواقف تكتيكية فرضتها حوادث السياسة العملية، الاّ ان من الصعب قبول مثل هذا الحكم القيمي على اطلاقه.

كتبت باحثة مصرية: «ان موقف الوفد من المسألة الفلسطينية قد تغير العام ١٩٣٠، لأنه، في ذلك الوقت، كان يمرّ بأصعب تجربة سياسية، حيث استطاع اسماعيل صدقي (زعيم حزب الشعب) انتزاع الحكم من الوفد، وبدأ ينكّل به؛ ولذلك كان الحزب يسعى للاحتفاظ بشعبيته، سواء داخل مصر أو خارجها، ووجد في فلسطين مجالاً لتحقيق بعض هذه الاهداف، فبدأ يشارك في حركة التضامن العربي»[١٤].

ويمكن ان يعزز هذه الرؤية سياق الاحداث. فالمؤتمر الاسلامي، الذي عقد في القدس، وحضره الوفد، لم يشترك فيه أحد من حكومة صدقي، وحرص الوفد على حضوره، وكسب من حضوره، مصرياً وعربياً. غير ان زعماء الوفد لم يكونوا ليعتبروا حزب الشعب، الموالي للقصر، وكذلك احزاب الاقلية، منافسة لهم في الشعبية. فزغلول اعتبر نفسه ممثلاً عن الامة أكثر منه رئيساً للحزب. ولم يكن النحاس يرى في نفسه غير ذلك، وكان يعتبر «الوفدي صدى الامة»[١٥]. وكما ذكر مكرم عبيد: «ان الوفديين اعتبروا انفسهم، دائماً، ممثلين للامة، في حين لا يتعدى غير الوفديين قلة من الافراد»[١٦]. وفضلاً عن ذلك، فان حزب الشعب واسماعيل صدقي ما كانا يدعيان بوصل العرب أو يبديان اهتماماً بالقضية الفلسطينية حتى ينافسهما الوفد على هذا الاهتمام وذاك الوصل؛ بل ان صدقي رأى ان اقتراب مصر من العرب يضر بمصالح الطبقة الرأسمالية، فأخذ يعضد فكرة الانعزالية المصرية[١٧]. بيد انه لا يمكن اغفال انه ممّا جعل الوفد يجد في فلسطين مجالاً للاحتفاظ بشعبيته هو ظهور بعض التنظيمات ـ مع نهاية عقد العشرينات واوائل عقد الثلاثينات ـ التي اهتمت، اهتماماً بالغاً، بالقضية الفلسطينية. فخلال الفترة تلك، نشطت جميعة الشبان المسلمين لجمع التبرعات لعرب فلسطين وارسال برقيات الاحتجاج الى عصبة الامم والحكومات البريطانية. وعقدت، في القاهرة، العام ١٩٣٠، مؤتمراً لجمعياتها في مصر وفلسطين، بحثت خلاله وسائل دعم التضامن الاسلامي، الى درجة التوصية بانشاء عصبة امم اسلامية. كما نشطت، في تلك الفترة، جماعة الاخوان المسلمين (انشئت العام ١٩٢٨) التي اعتبرت الكفاح ضد الصهيونية تجسيداً لفكرة الجهاد في العقيدة الاسلامية. كما تكوّنت جمعية مصر الفتاة (العام ١٩٣٣)، وكانت «أول تنظيم سياسي مصري يضع في برنامجه هدف التحالف مع الدول العربية»[١٨].

أَلَم يكن كل ذلك يعني ان الجماعة السياسية المصرية، منذ الثلاثينات، قد بدأت بالخروج من اطار «الجامعة الوطنية» الى اطار جامعة أعمّ، عربية أو اسلامية ؟ وهل كان الوفد، كمعبّر عن الحركة الوطنية المصرية، ليتغاضى عن ذلك التحول ؟

لقد كان بعض مواقف الوفد المؤيدة للقضية الفلسطينية تعبيراً عن ذلك التحول، غير ان المستعمر البريطاني منع الوفد من الانخراط، كلية، في مجرى ذلك التيار مع بداية الثلاثينات. قال مكرم عبيد انه «ورث عن سعد رغبته في التوصل الى اتفاق مع الشعب البريطاني ومواصلة نضاله في نفس الوقت ضد الاستعمار البريطاني في مصر»[١٩]. وقال، أيضاً، معلّلاً رفض السلطات المصرية لمفتي فلسطين بالاقامة في مصر: «انه لا يمكن السماح للمفتي بالقدوم الى مصر حتى لا يغضب الانجليز...»[٢٠]. فما كان الوفد ليغضب البريطانيين وهو يسعى الى الاتفاق معهم للجلاء عن مصر، أو لكسب ودّهم للبقاء في الحكم، منعاً لوصول الاحزاب المنسلخة عنه الى الحكم، وبطشها بالحياة الدستورية؛ وما